محاضرة أُلقيت في المركز الثقافي الألمانية – جونيه، 30 تشرين الثاني 2005
ونُشرت في مجلة "حوار العرب" (بيروت)، 15(2006)، ص 25 – 29.

اشترطت على السلطان العثماني إعلان "الجهاد المقدس"

ألمانيا والإسلام 1871 -1945

عبد الرؤوف سنّو
الجامعة اللبنانية

إن أول دعوة ألمانية رسمية لاستخدام الإسلام في الصراع مع الدول الكبرى، جاءت في أثناء رحلة الإمبراطور وليم الثاني إلى بلاد الشام العام 1898 وإلقائه خطاباً إستراتيجياً في دمشق، لعب فيه على ورقة الإسلام والإسلامية ضد الدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا وفرنسا، وأعلن عن صداقته للمسلمين في العالم. وفي هذا المعنى، جاء خطابه اللاحق في طنجة العام 1905، وعزمه على النغمة الإسلامية وتأكيده على استقلال المغرب في وجه أطماع فرنسا وإسبانيا. وقد لا يختلف استخدام ورقة الإسلام في الحرب العالمية الثانية عما حصل خلال الحرب العالمية الأولى، حين وضعت ألمانيا إستراتيجية لكسب ود العرب لأغراضها القومية. فدعمت حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق، وأجرت في الوقت نفسه اتصالات بالملك فاروق في مصر لتحضير انقلاب ضد بريطانيا.

ستتم مقاربة الموضوع من خلال مرحلتين اثنتين: تمتد الأولى من العام 1871 إلى العام 1918، فيما تنحصر المرحلة الثانية بالفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وصولاً إلى العام 1945. وما نقصده بالإسلام في المرحلة الأولى، فهو تحديداً السلطنة العثمانية بصفتها أكبر ممثل للإسلام تجاه أوروبا حتى سقوطها. أما الإسلام في المرحلة الثانية، أي بعد الحرب العالمية الأولى، فهو تركيا الحديثة، والبلدان العربية التي تعاملت معها ألمانيا، أولاً وأخيراً، على أساس أنها بلدان إسلامية. واستناداً إلى الصفة الإسلامية هذه، عملت ألمانيا خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية على استخدام هذه البلدان لخدمة مصالحها وأغراضها العسكرية والسياسية، تارة بالاستفادة من مركز السلطان العثماني كخليفة على المسلمين ومن مفاعيل الجامعة الإسلامية بين المسلمين، وتارة أخرى عبر حثّ القيادات الإسلامية على إعلان "الجهاد المقدس"، وتجييش المسلمين خلف هذا الشعار.

1- استخدامات ألمانيا صفة الخليفة العثماني ومفاعيل الجامعة الإسلامية لمصالحها الخاصة أثناء حكم بسمارك

منذ وصول وليم الثاني إلى العرش وطرحه شعار "تأمين مكان تحت الشمس" لبلاده، مع كل ما حملَه هذا الشعار من "زحف نحو الشرق"، ومناهضة الدول الأوروبية الأخرى، تحوّل الإسلام، إلى ركن أساسي في سياسة ألمانيا الخارجية، حيث تقوم باستخدام الإسلام، الدولة العثمانية أساساً، لضرب مصالح الدول المنافسة لها.

بالرغم من أن بروسيا، المملكة الألمانية الكبيرة، قد سعت في مرحلة مبكرة للاستفادة من الدولة العثمانية في صراعاتها وتوازناتها الأوروبية، إلا أنه لا يمكن الحديث عن سياسة إسلامية منهجية لألمانيا تجاه الدولة العثمانية قبل تولي بسمارك رئاسة الوزارة البروسية. وبالرغم من أن بسمارك كان ينظر إلى الجامعة الإسلامية، وهي تضامن المسلمين في ما بينهم، بغض النظر عن العِرق والمذهب واللون، على أنها حركة تعصب إسلامي معادية للمدنية، ألا أنه لم يجد حرجاً في استخدام قوتها الروحية والسياسية، وكذلك سمعةِ السلطان العثماني كخليفة، من أجل تحقيق مصالح بلاده.

بعد قليل على قيام مناطق حمايتها في غرب إفريقيا وشرقها منذ منتصف الثمانينات من القرن التاسع عشر، أصبحت ألمانيا تحتك بالعنصر الإسلامي لأول مرة، وشعرَت أن انتشار الطرق الصوفية المعادية للأجانب ووجود سلطنات إسلامية في تلك المناطق، يشكل خطراً على مصالحها. وفي هذا السياق، طلب بسمارك إلى سفيره في الآستانة أن يسعى لدى السلطان العثماني كي يستخدم نفوذَه كخليفة لدى الحكام المسلمين في إفريقيا لتسهيل نشاطات الألمان هناك. لكن اتصالات الباب العالي بالحكام المسلمين في إفريقيا سرعان ما كشفت عن مدى ضعف نفوذ السلطان العثماني، وأن لا أحدا يرَحب بتوسط السلطان لمصلحة المسيحيين. من هنا، أسقطت ألمانيا نفوذ السلطان العثماني كخليفة من حساباتها الاستعمارية في شرق إفريقيا وغربها والتفت إلى ركن آخر من القارة الإفريقية، وهو المغرب الأقصى.

سار بسمارك في المغرب الأقصى في سياسة مشابهة. لكن أهدافَه هنا اختلفت عن تلك في إفريقيا. فمحاولة التقرب من الحكام المسلمين في إفريقيا، كانت لتوفير أسس الاستقرار للمحميات الألمانية في المِنطقة، في حين انحصر هدفه في المغرب الأقصى في مضايقة الفرنسيين وتشتيتهم عن قضية الألزاس واللورين. كان الألمان يعتقدون أن تقوية روابط الجامعة الإسلامية بين المغرب الأقصى والدولة العثمانية، يخدم مصالحَهم في مضايقة فرنسا والضغط عليها. فرعوا بين العامين 1885 و1888 اتصالات التقارب بين الفريقين. لكن فرنسا أفشلت هذه المحاولات من خلال تخويف سلطان المغرب من نوايا الألمان والعثمانيين تجاه بلاده. على كل حال، كانت التناقضات الدينية – السياسية بين المغاربة والعثمانيين أعمق من أن تُزيلَها الدبلوماسية الألمانية أو أن تفككَها. كما أن بسمارك لم تكن لديه إستراتيجية تقوم على توحيد القوى الإسلامية. كل ما كان يريده هو إزعاج فرنسا وابتزازها. فهو سبق وبارك أثناء انعقاد مؤتمر برلين العام 1878 احتلال فرنسا لتونس.

إن الجهود الدبلوماسية الألمانية للاستفادة من الجامعة الإسلامية ومن منصب السلطان العثماني كخليفة، استمرت حتى بعد رحيل بسمارك عن رئاسة الحكومة الألمانية. وفي العام 1900، حثّ إمبراطور ألمانيا السلطان عبد الحميد الثاني على إرسال جيشه إلى الصين لقمع ثورة البوكسر التي شارك فيها مسلمون، ليثبت للعالم أن نفوذَه كخليفة يصل إلى أصقاع الأرض. لكن السلطان عبد الحميد لم يقع في هذا الفِخ، وأدرك أن استخدام جيشِهِ لقمع ثورة إسلامية ضد مسيحيين سيكون له تداعيات سلبية على منصبه كخليفة، فتملّص من المسألة.

2- وليم الثاني يلعب ورقة الإسلام

إن السؤال الذي يطرحُ نفسَه: لماذا امتلكت ألمانيا كل هذا النفوذ والتأثير في السلطان العثماني ومحاولة الاستفادة من الإسلام وقوتِه الروحية والسياسية؟ إن هذا يرتبط أساساً بنهوضها الاقتصادي والصناعي والعسكري والثقافي، ويعود إلى تحوّلها إلى دولة إمبريالية منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر. كلّ هذا جعلَها تلتفت إلى قوة الإسلام وتستخدمَها من أجل تنافسها مع الدول الأوروبية الأخرى، ولأن يرفع إمبراطورها شعاري "الزحف نحو الشرق"، و"تأمين مكان تحت الشمس"، لبلاده أي انتقال ألمانيا من النسق الأوروبي إلى النسق العالمي. إن حجم المصالح الألمانية في الدولة العثمانية التجارية والاقتصادية والاستثمارية والعسكرية والثقافية، تجعلنا نفهم لماذا قرر الإمبراطور وليم الثاني الانقلاب على سياسة بسمارك واعتماد سياسة الحفاظ على سيادة الدولة العثمانية ومنع توزيع تركة "الرجل المريض". إن أوضح مثال عن حجم المصالح الألمانية في الدولة العثمانية هو خط حديد بغداد، الذي جسّد إستراتيجية ألمانيا البرّية للوصول إلى الشرق بعيداً عن مراقبة الأسطول البريطاني، "أرمادا" العصر الحديث.

إن أول دعوة ألمانية رسمية لاستخدام الإسلام في الصراع مع الدول الكبرى، جاءت أثناء رحلة الإمبراطور إلى بلاد الشام العام 1898 وإلقائه خطاباً استراتيجياً في دمشق لعب فيه على ورقة الإسلامية ضد الدول الكبرى، وبخاصة بريطانيا وفرنسا، حين أعلن عن صداقته للمسلمين في العالم. وفي هذا المعنى، جاء خطابه في طنجة العام 1905 وعزفه على النغمة الإسلامية وتأكيده على استقلال المغرب في وجه أطماع فرنسا وإسبانيا. إن كل هذه التحركات الدبلوماسية تجاه الإسلام، كانت ألاعيب للإمبراطور للاستفادة من الإسلام في التنافس الاستعماري. فعندما توصلت بلاده مع فرنسا العام 1908 إلى اتفاق حول سياستهما الاستعمارية في المغرب، ضربت ألمانيا بشعارات صداقتها للإسلام عرض الحائط.

3- ألمانيا والجهادان العثماني والعراقي خلال الحرب العالمية الأولى (دور المستشرق أوبنهايم)

بلغت سياسة ألمانيا الإسلامية ذروتَها خلال الحرب العالمية الأولى من خلال الوقوف وراء إعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس" ضد دول الوفاق الودي، مستثنياً منه حلفاءه المسيحيين. ولا يمكن في الواقع الحديث عن "الجهاد المقدس" خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية، كما سنرى، من دون الحديث عن المستشرق الألماني ماكس فون أوبنهايم (Max von Oppenheim) الدبلوماسي الذي عرف الشرق والإسلام وقياداته ومفكريه وخبرها. كان أوبنهايم قد أُطلق عليه لقب "أبو الجهاد"، و"لورنس القيصر"، بسبب وقوفه وراء إعلان السلطان العثماني الجهاد في الحرب العالمية الأولى خدمة للمصالح الألمانية. وفي العام 1940، أي بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية بالعام، أعاد أوبنهايم التأكيدَ مرة أخرى أهمية الجهاد وتحريض المسلمين في سياق تحقيق بلاده مصالحها، لكن من دون أن يستخدم مصطلح الجهاد.

عقب اندلاع الحرب العالمية الأولى، تقدم أوبنهايم بأفكاره إلى الإمبراطور حول كيفية استغلال الإسلام و"الجهاد المقدس" وجعلهما أهم أسلحة ألمانيا على الإطلاق في الصراع ضد دول "الوفاق الودي"، وجعله الوسيلة القادرة على خدمة أهدافها من الحرب، وليسيرَ جنباً إلى جنب مع الجيوش العثمانية في أراضي العدو. كان إعلان السلطان العثماني الجهاد المقدس لا يجعل من دول "الوفاق الودي" أعداء الدولة العثمانية فحسب، وإنما أعداء الإسلام قاطبة. لذا، كان أحد شروط ألمانيا للتحالف

مع العثمانيين هو إعلان السلطان العثماني "الجهاد المقدس" ضد أعداء ألمانيا. فترتب على ذلك ظهور ثلاثية للجهاد لأول مرة في التاريخ الإسلامي: جهادان عثماني وشيعي عراقي لمصلحة ألمانيا، وجهاد عربي سنّي للشريف حسين بن علي لمصلحة بريطانيا.

ولتحقيق أهدافها السياسية والعسكرية، تأسست في برلين العام 1915 "وكالة أخبار الشرق" برئاسة أوبنهايم في مدن الدولة العثمانية للتحريض على الجهاد والإشراف على الدعاية في البلدان الشرقية والإسلامية. ولجذب المسلمين إلى الفريق الأقوى في الحرب، ركّزت الدعاية الألمانية على التفوق الألماني العسكري والاقتصادي والبشري على دول الوفاق الودي، وعلى أواصر الصداقة والود التي تجمع ما بين الألمان والمسلمين، وعلى أخوّة السلاح بين الجيشين الألماني والعثماني والتحالف المقدس بينهما، وأعطت الانطباع بأن ألمانيا تسعى إلى مساعدة العالم الإسلامي على الارتقاء في مرحلة ما بعد الحرب. لقد خاطبت الدعاية الألمانية المسلمين بأسلوب تحريضي عنيف، مركزة على النهب الذي تعرضوا له جراء دول الاستعمار. وللحصول على استحسانهم، كانت تتم معاملة الأسرى المسلمين، الذين سبق وحاربوا في جيوش دول الوفاق ووقعوا في أسر القوات الألمانية، معاملة حسنة ويسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية في مسجد شُيّد خصيصاً لذلك.

وعلى خط موازٍ لدعايتها، تقربت ألمانيا إلى القيادات الفكرية والسياسية الإسلامية. ومن أبرز الشخصيات العربية والإسلامية التي عملت معها، إما اعتقاداً منها بسياستها الإسلامية المُعلنة وتحالفَها مع الدولة العثمانية، وإما بدافع الخوف على مصير المنطقة في حال انهارت الدولة العثمانية، شكيب أرسلان، والشيخ عبد العزيز جاويش، ومحمد فريد، والشيخ صالح شريف التونسي وغيرهم. لقد امتدح أرسلان ألمانيا واعتبرها منزهة عن الغايات الخاصة، وآمن بإمكانية تحرر العرب والمسلمين من الاستعمار بواسطة دعمها. فدعا الإسلام لأن يكون صديقاً لألمانيا التي تتصدى للساعين إلى الإضِرار به وبدولة الخلافة. ومن ناحيته، رأى عبد العزيز جاويش أن ألمانيا شرٌّ لا بد منه لتخليص العالم الإسلامي من الاستعمار الأجنبي. أما رجالات الحزب الوطني المصري، فانحازوا بحذر إلى جانب ألمانيا على أمل أن تحصل مِصر على حريتها عقب الحرب. وقال محمد فريد: "إننا لن نخسر شيئاً زيادة من تعاملنا مع ألمانيا عما خسرناه، وهو الاستقلال". وفي العراق، وبإيعاز من ألمانيا، صدرت فتاوى عن المرجعيات الشيعية تدعو إلى الجهاد ضد بريطانيا. وفي المغرب العربي، عمل الشيخ صالح شريف التونسي مع "وكالة أخبار الشرق" في نشر الكتيبات وإلقاء المحاضرات على الألمان والأسرى المسلمين في معسكرات الاعتقال الألمانية.

وبتأثير الدعاية الألمانية، ساد شعور لدى المسلمين بأن ألمانيا هي الدولة الوحيدة حليفة الإسلام، التي تعمل على إنقاذه من كبوته، وأضحى إمبراطور ألمانيا في نظر المسلمين هو "الحاج محمد وليم"، الذي يدعو له المصلون بالنصر في مساجد دمشق ومصر. وسرت شائعات بأنه ابن السلطان عبد الحميد الثاني الذي أرسلَه والدُهُ سراً إلى برلين للدراسة، والمنحدر من إحدى شقيقات الرسول والمتظاهر بالمسيحية كي تبقى قوته وسلطته على رعاياه. إن إعجاب العامة المسلمين بسياسة ألمانيا الإسلامية، جعلت بعضَهم يتخيل إمكانية أسلمة إمبراطور ألمانيا وشعبه والاستقواء بهما بدلاً من الاقتداء بالنهضة الألمانية. ويتجلى ذلك بوضوح في رسالة بعث بها إليه إثنان من أنصار الجامعة الإسلامية في مِصر يدعوان الإمبراطور وشعبه إلى الإسلام، وأن تتكون من ألمانيا "المسلمة" والدولة العثمانية **"**أمةً إسلامية توحد الله ولا تُشرك به أحدا." لقد وصل الأمر بتوزيع رسم يطهر فيه رأس الإمبراطور في وسط الهلال الإسلامي، كإشارة إلى المكانة التي تتطلع ألمانيا إلى احتلالها بين المسلمين.

4- سياسة ألمانيا العربية خلال الحرب العالمية الثانية: مفتي فلسطين أمين الحسيني و"الجهاد" ضد الحلفاء

بعد استسلامها في الحرب العالمية الأولى، أُجبرت ألمانيا على التخلي عن أية طموحات استعمارية، وعن مصالحها وعن مؤسساتها في الشرق الأدنى. أما الدولة العثمانية، فانهارت وقامت على جزء منها تركيا الحديثة، ولم تعد هناك سلطة مركزية للإسلام ولا خلافة له، فيما خضعت البلدان العربية للانتداب الأجنبي أو الوصاية عليها. فكيف كانت عليه علاقة ألمانيا بالعرب حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية؟

إن حكومة فايمر (Die Weimarer Republik)، التي بقيت تحكم في ألمانيا حتى العام 1933 ثم سقطت بفعل تداعيات الأزمة الاقتصادية العالمية العام 1929 ووصول الحزب النازي إلى السلطة، عملت على تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأسباب عنصرية وتجارية، وكان لها موقف سياسي ينفي على العرب حقَهم في فِلسطين لعدم مساهمتهم في تنميتها وافتقارهم إلى النضج السياسي لحكم أنفسهم بأنفسهم. كانت حكومة فايمر تريد التخلص من بنود معاهدة فرساي، فحاولت التقرب إلى اليهود بسبب نفوذهم في الولايات المتحدة وبريطانيا.

وبعد وصول هتلر إلى السلطة العام 1933 بتأييد جماهيري واسع، نهج سياسة تقوم على توطيد سلطته في الداخل عبر الإعلان عن عدائه لليهود ومقاطعتهم اقتصادياً، وصولاً إلى طردهم خارج البلاد، واستعادة زعامة ألمانيا في أوروبا من خلال إحداث انقلاب في النظامين الأوروبي والعالمي. وبدت هذه التحولات بنظر الحركة العربية ذات أهمية كبرى لمستقبل المنطقة العربية، بعدما أصبحت الصهيونية عدواً مشتركاً لكل منهما. واعتقدت الحركة العربية بإمكانية الاستفادة من ألمانيا للتخلص من السيطرة البريطانية والفرنسية على المِنطقة.

حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية، اتسمت علاقات ألمانيا بالحركة العربية بالتحفظ لاعتبارات عدة، وهي تركيز هتلر اهتمامه على أوروبا، واعتقاده، حتى حينه، بإمكانية التحالف مع بريطانيا، ودخوله في تحالف مع روما العام 1936، الذي كان يتيح لإيطاليا أن تحتل نقاطاً إستراتيجية في حوض البحر المتوسط وتمارسَ نفوذاً واسعاً على المشرق العربي، باستثناء العراق، الذي كانت ألمانيا تتطلع إليه لوفرة نفطه. وقد استطاعت ألمانيا أن تخلق تأييداً لها في العراق و ومصر. لكن سياستَها تجاه القضية الفَلسطينية اتسمت بالتناقض. فكانت تعترض على مشروع تقسيم فلسطين العام 1937 وإنشاء دولة يهودية هناك، وتقوم في الوقت نفسه بتوجيه الهجرة اليهودية إلى فلسطين عبر ما عُرف بـ "اتفاق الترانسفير" أو "اتفاق هافارا". كما لم تتخط علاقاتها بابن سعود الإطار الاقتصادي الضيق، إما لعدم وجود اهتمامات سياسية لها في الجزيرة العربية، أو لعدم ثقتها بالزعيم السعودي. فبعيد اندلاع الحرب العالمية الثانية، انحاز ابن سعود إلى جانب بريطانيا. وفي هذا السياق، يندرج استقبالها العام 1937 لموفد من قبل مفتي فلسطين أمين الحسيني لدرس إمكانية التعاون بين الحركة العربية وألمانيا.

بعد اندلاع الحرب، وضعت ألمانيا إستراتيجية لضرب مركز بريطانيا في الشرق ومركز أعصابها في الهند، وقامت في النصف الأول من العام 1941 بدعم حركة رشيد عالي الكيلاني المناهضة لبريطانيا في العراق، وأجرت في الوقت نفسه اتصالات بالملك فاروق في مصر تحضيراً لانقلاب يقوم به ضد بريطانيا. لكن تراجع رومل عند العلمين في العام التالي، عطّل كل هذه المخططات. ولم تستثن مشاريع ألمانيا محاولة ضم تركيا إلى تحالف معها لقاء إطلاق يدها في القوقاز ووسط آسيا والمشرق العربي. وعندما فشلت دبلوماسيتُها على الجبهة التركية، ركّزت على حياد تركيا.

لقد تحمس الوطنيون العرب للانتصارات التي حققها الألمان في المرحلة الأولى من الحرب العالمية الثانية. ففي بيروت، تشكّلت "اللجنة القومية العربية" من بعض السياسيين العرب. وقد اتصلت هذه القيادات بهتلر وموسوليني، وحضر بعضها إلى روما وبرلين متوقعاً الحصول على الدعم والوعد بالاستقلال. ومن بين هؤلاء مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، ورئيس وزراء العراق رشيد عالي الكيلاني، الذي أطاح به البريطانيون في أيار 1941. وقد اجتمع الحسيني إلى هتلر في تشرين الثاني 1941 وتحدث معه عن عدويهما المشترك بريطانيا واليهود. وقد طالب الحسيني الحكومة الألمانية مراراً بإصدار تصريحات لصالح استقلال العرب بعد انتهاء الحرب. لكن ألمانيا كانت مقيدة باتفاقها مع إيطاليا العام 1936 حول اعتبار المتوسط مستقبلاً منطقة نفوذ إيطالية، كما كانت لا تريد أن تسيء إلى علاقاتها بحكومة فيشي المتحالفة معها، والتي كانت تعتبر لبنان وسوريّة مناطق نفوذ تقليدية لها. من هنا، جاءت التصريحات الألمانية في شأن استقلال العرب بعد الحرب، غامضة أو متناقضة، أو غير وافية ولا تلبي طموحات المعنيين.

إن غياب إستراتيجية ألمانية واضحة المعالم تجاه أماني العرب بالاستقلال، كان وراء ضياع العراق من يد ألمانيا، وكل المشرق العربي، بعد قضاء بريطانيا على حركة الكيلاني في العراق، وما استتبعه من اجتياح لسورية ولبنان في صيف العام 1941، وتراجع الملك فاروق عن انحيازه إلى جانب ألمانيا بعد معركة العلمين الثانية. وهذا ما جعل دبلوماسيين ألمانيا ينتقدون سياسة حكومتهم بعدم وضع إستراتيجية شرق أوسطية تقوم على دعم القومية العربية. بدلاً من ذلك، عملت ألمانيا على مراعاة مطامع إيطاليا في المنطقة، ولم تتخذ موقفاً حاسماً يوقف الهجرة الصهيونية من ألمانيا إلى فلسطين.

وكما في الحرب العالمية الأولى، كذلك في الحرب العالمية الثانية، ظلت فكرة جهادٍ إسلامي لمصلحة ألمانيا موجه ضد بريطانيا، في صلب مخططات أوبنهايم، لكن مع اختلاف الظروف الموضوعية التي كانت متوافرة في الحرب العالمية الأولى، وأهمُها عدم وجود سلطة مركزية للإسلام، ووقوف تركيا على الحياد في الحرب العالمية الثانية. وفي 25 تموز 1940، أرسل أوبنهايم مذكرة إلى مدير العام الخارجية الألمانية تحدثت عن تحريض المسلمين ضد بريطانيا في مناطقها الخلفية، مصر وسورية والعراق بالوسائل الدينية كافة، وكذلك الصراع بين العرب واليهود، لكن من دون استعمال مصطلح الجهاد. ورأى أوبنهايم، أن هناك مهمتين تقعان على عاتق ألمانيا، وهما الحصول على المعلومات من المنطقة، وإثارة الثورات ضد بريطانيا في العراق ومصر والمناطق المجاورة لهما. أما الهدف المركزي من كلّ ذلك، فهو تثبيت القوات البريطانية في أماكنها وقطع النفط عن الأسطول البريطاني، وإقفال قناة السويس أمام الملاحة.

وفيما كان السلطان العثماني هو المحرك على الجهاد في الحرب العالمية الأولى، حلّ الحاج أمين الحسيني محلّه في الحرب العالمية الثانية. فأعلن الأخير الجهاد مرات عدة ضد بريطانيا واليهود. صحيح، أن هتلر لم ير حاجة إلى إعلان جهاد إسلامي ضد بريطانيا، على عكس بعض المقربين إليه، إلا أنه لم يعارض ذلك، طالما أنه كان يساعد على تجييش المسلمين ضد الحلفاء. فإذاعة باري (Radio Bari) الإيطالية والإذاعات الألمانية كانت تبثّ باستمرار تصريحات الحسيني حول الجهاد. كما كان القسم العربي لإذاعة برلين برئاسة يونس البحري يستهل برامجه الصباحية بآيات من القران الكريم. وعندما جنّد الألمان وحدات عربية وإسلامية للعمل في البلقان، وسلّحوها ودربوها، قاموا بتزويدها بالأئمة، الذين جرى تخريجُهم في ألمانيا. وفي هذا المعنى، بعث هاينريش هملر (Heinrich Himmler) قائد فرقة Waffen SS إلى مدير الدعاية جوزيف غوبلز (Joseph Goebbels)، يتحدث عن الجهاد

والاستشهاد ويقول له: "أنا لست ضدَ الإسلام، فهو يعلّم الناس ويعدهُم بالجنة إذا ما حاربوا وماتوا. إنه دين عمليّ وجذّاب بالنسبة إلى الجنود".

استنتاج

لقد استخدمت ألمانيا سلاح الجهاد في الحرب العالمية الأولى، لكنها فشلت في تحقيق مكاسب منه. فلم يفعل فعلَه في دفع العرب والمسلمين للوقوف خلف الدولة العثمانية أو مناهضة قوى الاستعمار المتمثلة ببريطانيا وفرنسا وروسيا. لقد أعلن العرب "جهادهم" الخاص وثاروا على السلطنة العثمانية لمصلحة بريطانيا في سبيل إقامة دولة عربية مستقلة. وهذا يدلّ على أن مشاعر القومية العربية قد تغلبت على كل مضامين الجامعة الإسلامية. إن دعم ألمانيا عودة الحكم العثماني إلى سورية ومصر بعد الحرب العالمية الأولى، أي عدم الاعتراف بحقوق العرب القومية، أو حتى إصدار الوعود والتصريحات الكاذبة بذلك، كما فعل البريطانيون، كان وراء فشلِها في استقطاب النُخب العربية. لقد اكتفت ألمانيا باستقطاب الشخصيات العربية والإسلامية والتعامل معهم كمصادر للمعلومات وأدوات للدعاية لا كحلفاء. ففي العام 1917، زار أرسلان برلين وأُنزل في أفخم فندق فيها، وأقيمت له لقاءات حضرها كبار المسؤولين. وفي العام 1938، أراد أرسلان زيارة برلين مجدداً، لكن وزارة الخارجية الألمانية رأت فيه شخصاً طاعناً في السن على المرء ألا يعطيه أكثر من حجمه.

إن ألمانيا، وإن لم تستخدم مصطلح الجهاد رسمياً خلال الحرب العالمية الثانية، فهي عملت على حثّ المسلمين على مفاعيله. كانت إذاعة برلين تقوم بتحريض العالم الإسلامي ضد أعداء ألمانيا. لقد كان أوبنهايم "أبو الجهاد" الإسلامي خلال الحرب العالمية الأولى، وكان أيضاً المحرض على الجهاد في العام 1940. وقد أدرك فريتس غروب (Fritz Grobba)، الوزير الألماني المفوّض في بغداد، أهمية استغلال الإسلام لتحقيق أهداف سياسية، ما جعل الحلفاء يتوقعون أن يتحول الجهاد الإسلامي ضد الدول المسيحية إلى جهاد ضد اليهود. إن ما جعل للجهاد الإسلامي نكهة خاصة في الحرب العالمية الأولى، هو أن ألمانيا هي التي سعت إليه، في حين أن العرب هم الذين سعوا إليه في الحرب العالمية الثانية، ولهثوا وراء ألمانيا. وقد يكون العداء المشترك لليهود هو ما حفّز العرب على السعي وراء ألمانيا. لكن ألمانيا سارت في سياسة معاكسة لما يشتهيه العرب. فمن خلال اتفاق "الترانسفير"، أي نقل اليهود إلى فِلسطين، ومن خلال اضطهادها لليهود، ساعدت ألمانيا بشكل أو بآخر على صهينة فلسطين.